المبحث الثاني

البرزخ بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: البرزخ في التصور الإسلامي

يعرف البرزخ بأنه الحاجز بين شيئين، وما بين الموت والبعث فمن مات فقد دخل البرزخ [١] وجاء في التعريفات «للسيد» أن البرزخ «**هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال - أعني الحاجز بين الأجسام الكثيفة - وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة**» [٢].

وقد سمى القرآن الكريم الفترة من بعد الموت إلى البعث بالبرزخ.

يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون :٩٩-١٠٠].

والميت في تلك الفترة إما أن يكون منعمًا إذا كان من المؤمنين الصالحين، أو معذبًا إن كان من الكافرين المكذبين، أو من عصاة المؤمنين. يقول ابن القيم في كتابه الروح: «**إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين**» [٣].

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٩ مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية.

(٢) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٣٨ طبعة الحلبي.

(٣) الروح لابن القيم ص٨١ الناشر مكتبة السلام بالعباسية.

ويعتبر عذاب البرزخ ونعيمه أول منازل الآخرة التي يتعرض لها المؤمن وغير المؤمن يذكر ابن القيم أن «**عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله ﷺ: «فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها» وفي الفاجر: «فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» ومعلوم قطعًا** أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من هذا الباب إلى مقعده الذي هو داخله» [(١)] وهناك بعض الأشياء التي تحدث للميت في أول فترة البرزخ منها سؤال الملكين. يقول صاحب كتاب المسايرة في علم الكلام: «**سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه ورد فيهما الأخبار وتعددت طرقهما**» [(٢)] ونحن مع ابن الهمام في تعدد طرق الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، ولسنا معه في تعدد طرق تسميتهما بمنكر ونكير، فهناك رواية واحدة عن أبي هريرة بأنهما أسودان أزرقان يقال لهما المنكر وللآخر النكير [(٣)].

وقد وردت الآيات القرآنية التي تثبت سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه.

سؤال الملكين:

مما يسبق سؤال الملكين الحياة في القبر لأهل البرزخ، ومما يدل على الحياة في القبر قوله تعالى حكاية عن الكافرين ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر :١١] يذكر شارح المواقف أن المراد بالإماتتين والإحيائين في الآية الإماتة قبل مزار القبور ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه بعد مسألة منكر ونكير، ثم الإحياء للحشر، وذكر أن هذا هو الشائع المستفيض بين أصحاب التفسير. والغرض من ذكر الإحيائين أنهم عرفوا فيها

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .
(٢) المسايرة في علم الكلام لكمال الدين بن الهمام ص ١٤٦ - ١٤٨ .
(٣) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٤ .

قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الأحياء في الدنيا لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في حياتهم الدنيا [١]، والإمام الرازي في تفسيره للآية السابقة يرى «أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] فإحدى الموتتين مشاهدة في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر، حتى يصير الموت الذي يحصل عقبها موتًا ثانيًا، وذلك يدل على حصول حياة في القبر» [٢].

وبعد أن يحيا الميت في قبره يسأله الملكان اللذان وردت عنهما الأخبار وتعددت طرقها.

يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم :٢٧] المفسرون على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين في القبر [٣] ومما يدل على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين ما رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾** [إبراهيم :٢٧][٤] وأما السنة فيقول ابن القيم: «**أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير متواترة**» [٥].

وكون أحاديث عذاب القبر ومساءلة الملكين متواترة المعنى يوضحه صاحب المواقف بقوله: «**الأحاديث الصحيحة الدالة عليه أي على عذاب القبر أكثر من أن**

(١) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .
(٢) التفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩، وانظر الروح لابن القيم وفيه معتبر لكل من زعم أنه لا توجد حياة للميت في القبر - ص ٦٧ - ٨٧ .
(٣) انظر ابن كثير جـ ٢ ص ٥٣١ وما بعدها وانظر أبا السعود جـ ٣ ص ١٨٩ وانظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٣٧٧ .
(٤) فتح الباري جـ ٨ ص ٣٠٥ .
(٥) الروح لابن القيم ص ١٢٧ .

تحصى، بحيث تواتر القدر المشترك، وإن كان كل واحد منها من قبيل الآحاد» [(١)].

ومن الأحاديث التي وردت في سؤال الملكين:

ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - حتى إنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا»** قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: **«وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين»** [(٢)].

هذا الحديث صريح في الحياة في القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، يقول صاحب الفتح في شرحه لهذا الحديث: **«أخبر النبي ﷺ أمته** بكيفية امتحانهم في القبور، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم» قال: **«والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. وفيه أن الميت يحيا في قبره للمسألة، خلافًا لمن رده واحتج بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾** [غافر :١١]. قال: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاث، وهو خلاف النص، والجواب بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا، التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضة حدثت لكثير من الأنبياء لمسألتهم عن أشياء ثم عادوا موتى» [(٣)].

---

(١) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ وشرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢ .

(٢) صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٨٣ - ١٨٦ .

(٣) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٧ .

وهناك اختلاف بين العلماء: هل سؤال الملكين في القبر خاص بأمة محمد ﷺ، أم عام لجميع الأمم؟

هذا الموضوع اختلف العلماء فيه، فمن العلماء من ذهب إلى أن سؤال الملكين خاص بأمة محمد ﷺ، لأن الأمم قبل أمة محمد ﷺ كانت تأتيهم رسلهم بالرسالة فإذا أبوا عوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف، حتى دخل في دين الإسلام من دخل مهابة السيف، وهم المنافقون الذين أعلنوا الإيمان وأسروا الكفر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتنة القبر ليميز المؤمن من المنافق، وليميز الله الخبيث من الطيب، وإلى هذا الرأي ذهب عبد الله الترمذي. وقال آخرون: إن سؤال الملكين وعذاب القبر لا يختص بأمة محمد دون غيرها من الأمم لأن حديث البخاري الذي فيه يأتيه ملكان فيقعدانه **«ويسألانه عن الرجل الذي بعث فيهم «وإن كان فيه السؤال لأمة محمد، إلا أنه لا ينفي السؤال عن غيرهم من الأمم** [١] **ويرجح ابن القيم أن السؤال في القبر لأمة محمد وغيرها بقوله: «والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم في قبورهم تقام عليهم الحجة ويعذبون كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم»** [٢].

والذي يجب التسليم به أن الميت من أمة محمد ﷺ يحيا في القبر للمساءلة من الملكين اللذين وردت عنهما الأخبار، وأنه بعد تلك المساءلة إما أن يعذب وإما أن ينعم. يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة بعد أن يستدل بالكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين: **«فأما الكلام في أن ذلك كيف يكون وأنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار، فإن ذلك لا يهتدي إليه من جهة العقل وإنما الطريق إليه السمع»** [٣].

(١) الروح لابن القيم ص ١٤٦ - ١٤٨، فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٧ .
(٢) الروح لابن القيم ص ١٤٨ .
(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٢ .

عذاب القبر ونعيمه:

يقول الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :٤٥-٤٦]. يقول ابن كثير: «**وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور**» (١). وينقل القرطبي إجماع الجمهور على أن العرض في الآية يدل على عذاب القبر. قال في الفتح: «**قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر**» (٢). وابن القيم في كتابه الروح يذهب إلى أن الآية دالة على عذاب القبر ولا تحتمل غير ذلك، يقول: فذكر عذاب الدارين ذكرا صحيحا لا يحتمل غيره» (٣) والإمام البخاري في صحيحه يقدم لأحاديث عذاب القبر بالآيات القرآنية التي تدل على عذاب القبر، منها قوله جل ذكره ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة :١٠١] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة :١٠١] قال خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: «**اخرج يا فلان فإنك منافق**» فذكر الحديث وفيه: «**ففضح الله المنافقين فهذا العذاب الأول والعذاب الثاني عذاب القبر**» (٤).

ومن الآيات التي تثبت عذاب القبر قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر :١١].

يقول الإمام الرازي في تفسيره: «احتج أكثر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر. وتقرير الدليل: أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٨١ .
(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٠ .
(٣) الروح لابن القيم ص ١٢٧ .
(٤) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٠ .

فإحدى الموتتين مشاهد في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقبها موتًا ثانيًا، وذلك يدل على حصول حياة في القبر» (١).

ويستدل أيضًا بتلك الآية وغيرها صاحب المواقف وصاحب المقاصد. والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يستدل أيضًا بتلك الآية على عذاب القبر ويعتبر أن دلالة تلك الآية عامة في جميع المكلفين، يقول: «والدلالة التي تعم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] ولا تكون الإماتة والإحياء مرتين إلا وفي إحدى المرتين إما التعذيب في القبر أو التبشير» (٢).

ويذهب البعض إلى أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١] لا تدل على الحياة في القبر، ويذهب إلى أن المراد بالموتة الأولى الإشارة إلى الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة، والموتة الثانية إشارة إلى ما حصل في الدنيا. ويفند الإمام الرازي والقاضي عبد الجبار هذا الرأي، لأن الإماتة تستعمل بمعنيين: أحدهما إيجاد الشيء ميتًا، والثاني تصيير الشيء ميتا بعد أن كان حيًا، كقول الإنسان وسع الخياط ثوبي يحتمل أنه خاطه واسعا، ويحتمل أنه صيره واسعا بعد أن كان ضيقا، فلم لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالإماتة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصييرها ميتة، ثم إن الإماتة في الحقيقة إبطال الحياة وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجود إليها، وذلك لا يتصور في النطفة التي لم تكن حية أصلاً (٣).

ومن حجج الذين يمنعون دلالة الآية على الحياة في القبر والعذاب فيه أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] إنها حكاية كلام الكفار فلا تكون حجة، وأيضًا لو ثبتت الحياة في القبر لكانت الإحياءات ثلاثة في الدنيا وفي

(١) التفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩ .
(٢) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣١ .
(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣١ والتفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٣٩ .

القبر وفي الحشر [١].

أما قولهم هذا من كلام الكفار فلا يكون حجة، فلا وجه فيه، لأنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالى، ولو كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم. ألا ترى لما كذبوا في قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :٢٣] كذبهم الله في ذلك فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام :٢٤]. فلما لم يكذبهم الله في قولهم يجوز لنا أن نستدل بما قالوه على الحياة في القبر والعذاب فيه.

أما أنهم لو كانت لهم حياة في القبر لكانت الحياة ثلاث مرات وهو خلاف ما ذكر في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر :١١] فالإمام الرازي يرد على هذا الاعتراض من وجوه:

الأول: أن مقصودهم في قولهم أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين تعديد أوقات البلاء والمحنة، وهي أربعة الموتة الأولى والحياة في القبر، والموتة الثانية والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة، فأما الحياة في الدنيا فليست من أوقات البلاء والمحنة، فلهذا السبب لم يذكروها.

الثاني: لعلهم ذكروا الحياتين، وهي الحياة في الدنيا والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها.

الثالث: لعلهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا، بل بقوا أحياءً إما في السعادة وإما في الشقاء، واتصل بها حياة القيامة.

الرابع: أنه لو لم تثبت الحياة في القبر لزم أن لا يحصل الموت إلا مرة واحدة، فكان إثبات الموت مرتين كذبًا، وهو خلاف لفظ القرآن [٢].

ثم يختم الرازي استدلاله بالآية على عذاب القبر «**إنا نرجح قولنا بالأحاديث**

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢ والتفسير الكبير للرازي الجزء ٢٧ ص ٣٩ .

(٢) انظر التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٣٩ - وانظر المقاصد ص ١٦٢ - ١٦٤ .

الصحيحة في عذاب القبر» [١].

ومن الحجج التي يحتج بها المانعون لعذاب القبر قولهم: إنا نرى الميت أو المقتول أو المصلوب يبقى مدة من غير تحرك وتكلم، ولا أثر تلذذ أو تألم، ولو كان له أصل لكان يجب في النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وأيضًا فإن الميت ربما يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه على ما ورد في الخبر [٢] ويفند صاحب المقاصد ما احتج به المانعون لعذاب القبر بقوله: **«إن جميع ما ذكرتم استبعادات لا تنفي الإمكان كسائر خوارق العادات، إذ قد أخبر بها الصادق فلزم التصديق»** [٣].

أما قولهم بأنا لا نرى على الميت أثرًا للثواب أو العقوبة، ولو كان لرآها النباش فيرد عليهم بأنه **«من المجوز أن لا يعذبه الله تعالى في الحالات التي يطلع عليها النباش أو غيره، أو يعذبه على وجه يستتر عنهم، لوجه من المصلحة يرى ذلك»** [٤].

أما قولهم إن الميت قد يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه - على نحو ما ورد في الخبر - فيرد عليهم بأنه **«لا يشترط الحياة بالبنية، ولو كان ذلك شرطًا فمن الممكن أن يبقى من الأجزاء ما قد يصلح بنيته، ثم إن العذاب يجوز أن يكون للروح التي هي أجسام لطيفة أو للأجزاء الأصلية الباقية، فلا يمتنع أن لا يشاهده الناظر، ولا أن يخفيه الله تعالى عن الإنس والجن لِحِكَمٍ لا اطلاع لنا عليها»** [٥].

ومن الآيات التي يستشهد بها على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] هذه الآية يحتج بها على إثبات عذاب القبر. يقول ابن القيم: «وقد احتج بهذه الآية جماعة

---

(١) التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٤١ .
(٢) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ والمقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٤) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ .
(٥) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .

منهم عبد الله بن عباس في إثبات عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا ليخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فَهِمَ منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، وهذا يدل على أنه بقى من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى، ولم يقل العذاب الأدنى فتأمله» [١].

وإذا ذهبنا إلى الأحاديث التي وردت في عذاب القبر، فإنها متواترة المعنى، والقدر المشترك منها متواتر [٢]. يقول شارح العقيدة الطحاوية في الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لما كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا» [٣].

ومن الأحاديث التي تثبت عذاب القبر:

ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير**» ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر**[٤] **من بوله**» قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» [٥].

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٨ .
(٢) شرح المواقف جـ ٣ ص ٤٥٣ .
(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٤٨ - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ.
(٤) في معظم الروايات لا يستبرئ من بوله.
(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٨ .

وهذا الحديث صريح في إثبات عذاب القبر لعصاة المؤمنين، وليس المقصود من الحديث أن العذاب بسبب النميمة وعدم الاستبراء من البول فقط، ولكن كما قال الزين بن المنير ونقله صاحب الفتح: **«المراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم أمرهما، لا نفي الحكم عما عداهما، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصر عذاب القبر فيهما، لكن الظاهر من الاقتصار على ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما، وقد روى أصحاب السنن من حديث أبي هريرة «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»** (١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن زيد بن ثابت قال: **«بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف صاحب هذه الأقبر؟ » فقال رجل: أنا، فقال: «فمتى مات هؤلاء؟ قالوا: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»** ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **«تعوذوا بالله من عذاب القبر»** قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: **«تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»**. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: **«تعوذوا بالله من فتنة الدجال»** قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال (٢).

وهذا الحديث صريح في عذاب القبر وكيف أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من عذاب القبر ويأمر أصحابه أن يتعوذوا من القبر وفتنته.

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال»** (٣).

والنعيم والعذاب في القبر يكون بالروح والبدن معًا. يقول شارح العقيدة

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٨ .

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ٢١٩٩ - ٢٢٠٠ .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٤١٢ طبعة الحلبي.

الطحاوية: «**عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به**» [١] ويؤكد صاحب المقاصد ذلك بنقل اتفاق أهل الحق على ذلك، يقول: «**اتفق أهل الحق على أن الله يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار لكن توقفوا في أنه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنما ذلك في الحياة الكاملة التي يكون معها القدرة والأفعال الاختيارية**» [٢]، وابن القيم يفصل تعلق الروح بالبدن وانفصالها عنه أحيانًا في البرزخ بقوله: «**وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللّذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحق. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها، وأما البرزخ فأول دار الجزاء، فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره**» [٣].

وقد وردت بعض الآثار التي تروي تزاور أرواح الموتى وتلاقيهم مع بعضهم ومع الأحياء، وهو أمر غير مستبعد؛ لأن الأرواح إما أن تكون معذبة أو منعمة مع أبدانها، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، أما الأرواح المنعمة فإنها تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها. قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا**﴾ [النساء :٦٩] يقول ابن القيم: «**وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة**» [٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨ .
(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .
(٤) نفسه ص ٢٦ .

وقد عقد «ابن القيم» فصلًا كاملًا في كتابه «الروح» وهو من أشمل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، وفيه روى الآثار التي وردت عن تلاقي أرواح الأموات والأحياء، وأيضًا تلاقي أرواح الأموات مع بعضهم، نذكر من تلك الآثار ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدثني محمد بن بزيع أخبرني فضل بن سليمان النميري بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدًا شديدًا، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل تتعارف الموتى، فأرسل إلى بشر بالسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر، إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر**». وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر، فقالت: يا فلان، عليك السلام. فيقول: وعليك. فتقول: اقرأ على بشر السلام [١].

وروى ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوكفون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: صالح فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: لا. فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا؟ [٢].

ويذكر الإمام الغزالي أن أرواح الأحياء تتلاقى مع أرواح الأموات، والأكثر من ذلك أن الأموات ربما أخبروا الأحياء بشيء يحدث لهم مستقبلًا، يذكر الإمام الغزالي أن الحسن بن علي قال: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي في الليلة في مغامرة، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك. قال: «**ادع عليهم**» فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر لهم مني. فخرج فضربه ابن ملجم [٣]. ونكتفي بهذا القدر من الآثار؛ نظرًا لأنها عبارة

(١) نقلًا عن الروح لابن القيم ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) نفسه ص ٢٠ - وانظر بالتفصيل من ص ١٩ - ٥٤ وأيضًا ما ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين الجزء ١٦ - المجلد الرابع ٢٩٤٠ - ٢٩٤٨ .

(٣) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٤٠ .

عن رؤى لا تثبت حكمًا شرعيًا، وإنما يستأنس بها فقط.

ثانيًا: البرزخ في التصور النصراني

ما هو مصير النفس بعد الموت؟ سؤال يردده علماء فرق النصارى، ويختلفون في الإجابة عليه.

ففرقتا «الأرثوذكس» «والبروتستانت» لهم رأي في حالة الروح بعد الموت، وفرقة «الكاثوليك» لهم رأي يخالف «الأرثوذكس» «والبروتستانت». ولذلك سنعرض آراءهم وتصورهم لحالة الروح بعد الموت.

أولاً: الأرثوذكس [١] والبروتستانت [٢]:

يطرح صاحب كتاب «هذه عقائدنا» هذا السؤال: ماذا يحدث لنفس المسيحي عندما يموت؟ ويجيب بقوله: «**يقول البعض بأنها ترقد في القبر مع الجسد، ورأى كهذا يعارض ما جاء في الأسفار المقدسة معارضة تامة**» [٣] ويستدل بما ورد في إنجيل لوقا من قول المسيح للص وهو على الصليب: «**اليوم تكون معي في الفردوس**» [٤] ويستدل أيضًا بما ورد في رسالة إلى فيلي حين قال بولس عن موته: «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح**» [٥] وبما ورد في سفر الرؤيا ورد: «**طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن**» [٦].

ثم يعلق على هذه النصوص ويستنتج ثلاث خصائص تتعلق بموت الأبرار: أنهم في الفردوس، وأنهم مع المسيح، وأنهم سعداء [٧]، ونلاحظ أن النصوص

---

(١) يمثل اتجاه الأرثوذكس الكتب التالية: هذه عقائدنا تأليف ج. كلايد تارنر - تاريخ الأقباط للأستاذ زكي شنودة.... وهناك بعض الكتب أحلت إليها تمثل عقيدة الأرثوذكس منها: عقائد أساسية - مدخل في علم اللاهوت - مدخل إلى العقيدة المسيحية - دينونة البشر العامة.

(٢) ويمثل اتجاه البروتستانت: علم اللاهوت النظامي، قضايا المسيحية الكبرى.

(٣) هذه عقائدنا - تأليف ج. كلايد تارنر الناشر. المنشورات المعمدانية بيروت ١٩٧٢ .

(٤) لوقا: ٣٣ : ٤٣ .

(٥) رسالة فيليب ١ - ٢٣ .

(٦) سفر الرؤيا: ١٤ : ١٣ .

(٧) هذه عقائدنا ص ١٥٩ - ١٦٠ .

الثلاثة التي وردت في لوقا وفي رسالة فيليب وفي سفر الرؤيا اعتبرها المؤلف تمثل مصير أرواح الأبرار بعد الموت. أما عن مصير الأشرار، فإن المؤلف المذكور يعترف بأن النصوص غير متوافرة، ولم يرد عنهم إلا القليل في الأسفار المقدسة. يقول: «**لا تكشف لنا الأسفار المقدسة إلا القليل عن حالة الأشرار بعد الموت والقيامة**» (١)، ويستشهد بنصين في إنجيل لوقا ورسالة بطرس الثانية ويقول عنهما: «**هناك عبارتان تعطياننا كل ما نعرفه تقريبًا عن هذا الموضوع، ففي مثل الغنى والعاذر، يقول يسوع: «مات الغنى ودفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب**» (٢) أما النص في رسالة بطرس الثانية «**يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين**» (٣)، ففي النصين تصوير لمصير الأشرار، فالنص الأول يبين أن الغنى الفاسد داخل العذاب بعد الموت، والنص الثاني يبين أن الأشرار يحفظهم الله من الفناء معاقبين إلى يوم الدين، ونفس الأدلة يوردها الأنبا يؤانس في الاستدلال على مصير الأشرار في كتابه السماء (٤).

والأستاذ زكي شنودة في كتابه تاريخ الأقباط يؤكد ما تعتقده الكنيسة القبطية في مصير الأرواح بعد الموت بقوله: «**إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها عن أجسادها، بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة، أو من التعاسة إذا كان طالحة، حتى يجيء يوم القيامة، فتلبس الأرواح أجسادها**» (٥) وهذا قريب من مصير الأرواح عند المسلمين مع اختلاف، ألا وهو أن مصير الأرواح في التصور الإسلامي يتحدد بعد سؤال الملكين، أما عند الأرثوزكس فإن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح كما يقول النصارى الأرثوذكس، والأرواح الشريرة تتعذب يوم القيامة حين اجتماعها مع أجسادها.

---

(١) نفسه ص ١٦٠ .
(٢) لوقا ١٦ : ٢٢ - ٢٣ .
(٣) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٩ ، وانظر هذه عقائدنا ١٦٠ .
(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٧ - ١٠٩ .
(٥) تاريخ الأقباط للأستاذ زكي شنودة ص ٢٥٢ .

كان هذا رأي الأرثوذكس.

أما البروتستانت فهم يقولون نفس الآراء التي قررها الأرثوذكس، وسوف نعرض لآرائهم بإيجاز: سؤال يطرحه علم اللاهوت النظامي وهو: «**ماذا يعلمنا الوحي في حالة النفس بعد الموت؟**» ويجيب بقوله: «**النفس لا تموت ولا تنام وإن أنفس الأبرار تكمل حينئذ في الطهارة، وتدخل السماء، حيث تنتظر فداء أجسادها الكامل، وإن أنفس الأشرار تطرح في جهنم، حيث تبقى في القصاص والظلام إلى حكم اليوم العظيم**»(١).

بعد استعراض رأي الأرثوذكس والبروتستانت نجد أن هناك اتفاقًا بين الفريقين على أن أرواح الصالحين عندهم تصعد إلى السماء في الفردوس مع المسيح وهي سعيدة، كما أن هناك اتفاقًا فيما بينهم على أن أرواح الأشرار تذهب إلى الجحيم والظلام حيث تجتمع الأرواح مع الأجسام.

وكما رأينا فإن النصوص عن مصير الأشرار غير وافية باعتراف النصارى أنفسهم من فرقتي الأرثوذكس والبروتستانت، وإذا كانوا يقررون أن النصوص التي وردت في الأناجيل وأعمال الرسل عن مصير الأبرار غير كافية أيضًا، فهي إشارات عابرة غير مسهبة أو مفصلة.

ثانيًا: رأي الكاثوليك في مصير الأرواح بعد الموت:

يعتقد الكاثوليك أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت، يؤدي الأفراد أمامها حسابًا عما قدمت في الحياة. يقول صاحب كتاب «**إيماننا الحي**»: «عند الموت تنفصل النفس عن الجسد، فيعود جسدنا إلى الأرض وينحل فيها، أما أنفسنا فلا يمسها الفساد لأنها روح، وطالما نفارق هذه الدنيا تمثل أنفسنا أمام محكمة الله، فعليها أن تؤدي حسابًا عن كل أفكارها وأقوالها وأفعالها وعن كل ما

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١١٦٨ وما بعدها. وأيضًا قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٦٣ - ٥٦٨.

أغفلته من أعمال الخير، ويطلق على هذه المحاكمة: الدينونة الخاصة» [١] هذه المحكمة الخاصة يشرحها «ميشيل ميتيم» بقوله: «**حالما نموت تمثل أنفسنا أمام الله لتحاكم عن أعمالها الصالحة والشريرة**» [٢]. وبعد مثولها أمام المحكمة المشار إليها يتحدد مصيرها، إن كانت صالحة صعدت إلى السماء، وإن كانت طالحة نزلت إلى المطهر. يقول ميشيل ميتيم عن النفس بعد المحاكمة: «**فإن كانت ناصعة الطهارة - أي الروح - طارت نورًا إلى السماء، وإن كان عليها بعض التكفيرات نزلت إلى المطهر**» [٣].

هذا المطهر الذي تنزل إليه النفس الطالحة ما حقيقته؟ يشرح الأب ميشيل ميتيم حقيقة المطهر والذين يذهبون إليه من مقترفي الذنوب فيقول: «**إن من يموت في حال النعمة دون أن يكفر عن خطاياه تكفيرًا تامًا تذهب نفسه إلى المطهر، فتقضي فيه مدة يحددها الله بعدله، فتفي جميع ديونها وتكفر عن آثامها، فتتطهر من أوساخها ثم تدخل السماء**» [٤].

العذاب في المطهر:

يرى الكاثوليك من النصارى أن «**في المطهر نوعين من العذاب، الأول: الحرمان المؤقت من التمتع بمشاهدة وجه الله الكريم، وهو عذاب أليم شديد، الثاني: هو عذاب النار، تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج السماء**» [٥].

والعذاب الذي تتعرض له النفوس في المطهر يخفف عنها بالصلوات والأدعية، والكاثوليك يعتقدون في مساعدة النفوس التي تتعذب في المطهر، وذلك بتقديم الطقوس الكنسية والصلوات لهم ورد «**في شرح التعليم المسيحي**» ما نصه: «تتألم

---

(١) إيماننا الحي ص ٥٠٨ - وانظر رسالة العبرانين ٩ . ٢٧ .
(٢) شرح التعليم المسيحي - العقائد الإلهية ص ٢٣١ جـ ١ .
(٣) نفسه ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٤) شرح التعليم المسيحي ٢٣٧ جـ ١، وانظر رسالة كورنثوس الأولى ٣: ١٥ .
(٥) شرح التعليم المسيحي ص ٢٣٧ وإنجيل متى ٥ : ٢٦ .

النفوس المطهرية آلامًا فادحة، فبينها نفوس أهالينا وأصدقائنا ومعارفنا ومواطنينا، فكيف ننساها وهي عطشى إلى مساعدتنا؟ فيتوجب علينا أن نقدم لراحتها صلواتنا ومناولاتنا، وخاصة ذبيح القداس الإلهي، فإن هذه الأعمال الصالحة تخفف من شدة عذاباتها، وتقصر من مدتها بحسب ما ترتبه إرادة الله القدوسة» [١] ونلاحظ أن تلك الصلوات والقرابين لا تلغى العذاب ولكن تخففه فقط.

وفكرة المحكمة التي يعتقدها الكاثوليك تنقدها فرقة البروتستانت ويعتبرونها وما يترتب عليها - من نزول النفوس الشريرة إلى المطهر - من العقائد الوثنية [٢].

ومن الاختلافات الجوهرية بين الأرثوذكس والكاثوليك فكرة المحكمة وفكرة المطهر [٣]. وهذا الاختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك اختلاف جوهري. وليس بين عام عند الأرثوذكس ومتصل عند الكاثوليك، لأن النصوص التي نقلناها عن الأرثوذكس لا تشير إلى فكرة المحكمة تلك، ولا إلى المطهر على الإطلاق، وإن كانت فرق النصارى متفقة على المصير الأخير لأرواح الأبرار وأرواح الأشرار، لأن الأبرار في السماء والأشرار في الجحيم.

ويرى بعض الباحثين المسلمين أن فكرة المطهر عند الكاثوليك مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين.

يقول الدكتور «السقا»: «وشذ نصارى الكاثوليك عن جميع النصارى الذين يقولون بالحساب والنعيم أو العذاب يوم القيامة، وقالوا بحساب للإنسان بعد الموت مباشرة بعد خروج الروح مباشرة من جسد الإنسان، مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين [٤].

---

(١) شرح التعليم المسيحي ص ٢٣٧ .

(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١١٧٥ .

(٣) تاريخ الأقباط ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) مقدمة لفتح الروح والتسوية للإمام الغزالي تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا مقدمة المحقق ص ١٥ الناشر مكتبة المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.

ولا أوافق الدكتور السقا فيما ذهب إليه لأمرين:

الأمر الأول:

أن عذاب القبر ليس عند بعض المسلمين، ولكن عند جمهور المسلمين، فلقد اتفق سلف الأمة وخلفها على سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، ووردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تواتر القدر المشترك منها بمعناها [١] كما قال بذلك علماء العقيدة وعلماء الحديث، حتى المعتزلة الذين اتهموا بأنهم ينكرون عذاب القبر، استعرضنا رأي القاضي عبد الجبار من المعتزلة [٢] الذي أثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين والتزم بالدليل السمعي. ونحن لا ننكر أن هناك بعض الآراء التي تنكر عذاب القبر ونعيمه كما دل عليه السمع، فهل جمهور المسلمين هم بعض المسلمين، كما يقول الدكتور السقا؟

الأمر الثاني:

أن فكرة المطهر عند الكاثوليك بينها وبين عذاب القبر ونعيمه اختلاف، لأن في الإسلام سؤال الملكين الذي يسبق عذاب القبر ونعيمه، ولا يوجد ذلك عند الكاثوليك، وفكر ة المحكمة المشار إليها عندهم ليست واضحة، فالنصوص لم تبين لنا من الذي يقوم بذلك، وليس عندهم تفصيل في تلك الفكرة في العهدين القديم والجديد [٣] بعكس ما نجد في الإسلام من تفصيل إلى حد ما حول سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه.

تعقيب:

بعد عرضنا للبرزخ بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للميت في فترة البرزخ.

---

(١) عرضنا الآراء بالتفصيل عند حديثنا عن نعيم القبر وعذابه في الإسلام.

(٢) انظر الأصول الخمسة ص ٧٣٠ - ٧٣٣ .

(٣) في مقابلة للباحث مع الأنبا غريغوريوس - أسقف علم الدراسات العليا في الكنيسة القبطية نفى عذاب القبر ونعيمه في اعتقاد الأرثوذكس.

أولاً: أوجه الاتفاق:

يتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث إنهم يعتقدون أن الأرواح الطيبة تكون منعمة إلى يوم القيامة، وأن الأرواح الشريرة تتعذب إلى ذلك اليوم الذي تجتمع فيه الأرواح مع الأجساد.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

يختلف تصور الأرثوذكس والبروتستانت عن التصور الإسلامي في أن التصور الإسلامي فيه سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، أما الأرثوذكس والبروتستانت فليس عندهم سؤال الملكين، ولا ما يترتب عليه من عذاب في قبر ونعيمه.

إن تصور الكاثوليك للمحكمة والمطهر، وإن كان بينها وبين عذاب القبر وجه شبه، إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامي، حيث سؤال الملكين في الإسلام.

ثالثًا: البرزخ في التصور اليهودي

ورد في قاموس الكتاب المقدس أن «**الهاوية مقر الموتى**»، وهي ترجمة الكلمة العبرية «**شئول**» [١] والكلمة اليونانية «**هاويس**» [٢]. وقد فهم العبرانيون هذه الكلمة تارة كأنها قبر أو موت، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض [٣]، وله أبواب [٤]، وهو مكان مظلم مخيف، سكانه يشعرون وكأنهم في وجود بليد جامد [٥]... وتذهب إليه نفوس الجميع [٦]، وفيه القصاص، وفيه الثواب، ولا يمكن العودة منه إلى الأرض [٧]، وهو مكان عريان أمام الله [٨]. ويقول المرنم: إن الله هناك [٩] وإن أرواح شعبه وحالتهم في ذلك

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ .
(٢) هذه عقائدنا ص ١٥٩ .
(٣) سفر العدد ٢٠١٦ - ٣٣ - وحزقيال ٣١: ١٤ - ١٧ .
(٤) أشعياء ٢٨ / ١٠ .
(٥) صموئيل الثاني ٢٢: ٦ وحزقيال ٦: ٥ .
(٦) سفر التكوين ٢٧ : ٣٥ .
(٧) صموئيل الأول: ٢٨/ ٨ - ٩ .
(٨) أيوب ٦/٢٦ .
(٩) مزمور ١٣٩: ٨ .

المكان كانت تحت عينه الساهرة، وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبه بعد الموت وحضوره معهم ومجيئه الدائم لهم اشتمل على الغبطة للأبرار والويل للأشرار بعد الموت، وأصبح لهم مقران: الأبرار يكونون مع الرب، والأشرار بعيدون عن وجهه [١].

هذا ما ورد في العهد القديم عن الروح ومصيرها بعد الموت، تنزل جميع الأرواح إلى الهاوية وفيها يتم القصاص، وبعد هذا القصاص يكون للأبرار الغبطة والسرور، والويل والثبور للأشرار. إلا أن التلمود يعرض بعض التفصيلات التي تحدث لروح اليهودي بعد الموت ورد في التلمود: **«أن الروح عندما تغادر الجثة ينتج عنها صوت صارخ، ولكن الحاخامات دعوا الله وصلوا، فامتنع هذا الصوت الذي لا مثيل له إلا صوت الشمس حين تدور حول مدارها، وصوت الجماهير في مدينة روما»** [٢].

وورد في التلمود أن الروح تحلّق فوق الجثة ثلاثة أيام، وهي تريد أن ترجع إلى الجسد مرة ثانية، إلا أنها حين تشاهد أن جسد اليهودي قد تغير تتركه ورد في التلمود: **«أما بعد الموت فتحلّق الروح على الجثة ثلاثة أيام، تنوي الرجوع إليها، ولكنها عندما ترى أن شكل الوجه تغير تتركها وتذهب بعيدًا»** [٣].

وورد فيه أيضًا **«أن مساء كل يوم جمعة تدخل روح جديدة في الأجسام الميتة في القبر وتبقى حتى انتهاء السبت، حيث تغادر الجسم، ولزم إثبات هذه الروح الجديدة بسبب الرغبة المتزايدة في الأكل والشرب»** [٤]. كل هذه التفصيلات لا نجدها في العهد القديم. ويشرح **«سعديا الفيومي»** في كتابه **«الأمانات والاعتقادات»** مفارقة الروح لجسدها بقوله: **«وفي أول زمان المفارقة تغيم مدة لا تستقر مقرها إلى أن يبلى الجسم، ومعنى ذلك إلى أن تفترق أجزاؤه فتكون في هذه المدة يصعب عليها ما تعلمه، مما يمر**

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .
(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان - الناشر - دار النفائس بيروت.
(٣) نفسه ص ٧٧ .
(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان - الناشر - دار النفائس بيروت ص ٧٧ .

بالجسم من الدود والرمة وما أشبه ذلك. كما يصعب على الإنسان علمه بأن بيتًا كان يسكنه قد خرب ونبت فيه الشوك والحسك. وهذه صعوبة تكون على النفس بالأقل والأكثر حسب استحقاقها، كما أن منزلته بالسفل تكون بالأقل والأكثر فتصعب عليه حسب استحقاقها» [١] ويبين سعديا الفيومي المكان الذي تستقر فيه الأرواح بعد مفارقتها للجسد بقوله: **«تحفظ إلى وقت المجازاة وتكون الصوافي منها موضع حفظها في علوم الكوادر في سفل»** [٢].

وبين المدة التي تحفظ فيها الأرواح الصالحة والأرواح الطالحة فيقول: **«إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التي أوجبت الحكمة من البارئ خلقها، وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فإذا تم عددها واجتمعت جمع بين النفوس وأجسامها»** [٣].

والذي نلاحظه أن ما ورد في التلمود فيه تفصيلات لأمور كثيرة لم ترد في العهد القديم عن الروح، وترددها على القبر ورغبتها في الرجوع إلى جثة الميت، ثم فرارها بعد أن ترى أن الجثة قد تغيرت.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقولون بعذاب القبر ويتعوذون منه.

وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم عذاب القبر» قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدها صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر زاد غُنْدَرُ: **«عذاب القبر حق»** [٤].

---

(١) الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٦ سعديا الفيومي.

(٢) نفسه ص ٢٠٧ .

(٣) نفسه ص ٢٠٧ .

(٤) فتح الباري جـ ٣ ص ١٨٣/١٨٢ .

يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث عائشة وما دار بينها وبين اليهودية عن عذاب القبر، وإقرار الرسول ﷺ لما ذكرته اليهودية لعائشة عن عذاب القبر: «**فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه**» [١].

وبعد عرضنا للبرزخ عند اليهود يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور اليهودي للميت في فترة البرزخ على النحو التالي.

مواطن الاتفاق:

أولاً:

يعتقد اليهود أن هناك قصاصًا بعد الموت في القبر الذي يطلقون عليه لفظ الهاوية [٢] وأن هذا القصاص يترتب عليه الثواب والعقاب لروح الميت، وهذا القصاص لا تعطي أسفار العهد القديم صورة مفصلة عنه، ولكن التعاليم الشفوية أعطت بعض التفصيلات عن نعيم الروح وعذابها، وفكرة القصاص في القبر عند اليهود بينها وبين عذاب القبر في الإسلام وجه شبه بيّن، خصوصًا إذا علمنا أن يهودية أخبرت السيدة عائشة بعذاب القبر، وأن الرسول ﷺ أقر اليهودية حين أخبرته السيدة عائشة بما قالته اليهودية عن عذاب القبر.

ثانيًا:

يتفق التصور اليهودي مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث يعتقد اليهود أن الأرواح الصالحة تكون في علو حسب استحقاقها، وأن الأرواح الشريرة تكون في سفل حسب استحقاقها أيضًا.

أما مواطن الاختلاف فتتمثل فيما يأتي:

أولاً:

أن النعيم والعذاب يقع على الروح وحدها [٣] دون الجسد، بعكس ما نجد في

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٢ .

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

(٣) انظر الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

obeikandl.com

الإسلام، إذ إن العذاب والنعيم يقع على الروح وحدها أحيانًا، وعليها وعلى الجسد أيضًا [١].

ثانيًا: أن البرزخ في التصور الإسلامي يتعرض فيه الميت لسؤال الملكين، ولا يوجد ذلك عند اليهود.

ثالثًا: أن التفصيلات التي وردت عن الروح وترددها على الجسد يوم السبت ورغبتها في الرجوع إلى الجسد ثم تراجعها بعد رؤيتها تغير الجسد. لا توجد في التصور الإسلامي تلك الحالة للروح.

* * *

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨، والروح لابن القيم ص ١٢٥ .

obeikandl.com